من اجلنا ومن اجل خلاصنا

د. القس نصرالله زكريا

نحتفل هذا العام بمرور ألف وسبعمئة عامٍ على انعقاد "**مجمع نيقية** *Council of Nicaea*"، وقد سُمي مجمع نيقيّة بهذا الاسم نسبة إلى مكان انعقاده في مدينة "**نيقيّة**"[1] عاصمة مقاطعة بيثينية، في الشمال الغربي لآسيا الصغرى، وبدأ المجمع فعالياته في العشرين من مايو عام 325م، وذلك بناءً على دعوة من الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول، ويُعدُّ هذا المجمع الكنسي، هو المجمع المسكوني الأول، إذ حضره ممثلو كافة قيادات الكنيسة حول العالم، وتراوح عددهم ما بين 250 إلى 318 أسقفًا غالبيتهم من الشرق. ومع أنَّ مجمع نيقية لم يكن المجمع المسيحي الأول في التاريخ[2]، إلَّا أنَّه يُعدُّ حجر الزاوية في العقيدة المسيحيّة، في سياق عبارة "**من أجلنا ومن أجل خلاصنا**"، ركَّز المجمع على أهميّة عمل المسيح في الفداء والخلاص. هذا التأكيد عكس جوهر العقيدة المسيحيّة، حيث يُعدُّ عمل المسيح أمرًا أساسيًّا لخلاص الإنسان وتجديد العلاقة مع الله.[3] هدف المجمع إلى تحديد علاقة الأب بالابن.

لم يحظَ "**مجمع نيقية**" بتلك الأهميّة العظمى، بسبب شخص الداعي إليه، بل في الموضوعات والخلافات والقضايا اللاهوتيّة التي شغلت الرأي العام الكنسي آنذاك، ومدى تأثيرها على السياسي والديني، على الإمبراطورية، وعلى الإيمان المسيحي ذاته؛ إذ احتدمت الخلافات بين أريوس *Arius*[4] وأتباعه من جهةٍ

---

[1] نيقية *Νίκαια*: هي مدينة إغريقيّة قديمة تقع على ساحل الأناضول الغربي في تركيا عند بحر مرمرة وتسمى إزنيق حديثًا.

[2] نقرأ عن أول مجمع في التاريخ المسيحي في سفر أعمال الرسل الإصحاح الخامس عشر، نحو عام خمسين ميلادية، وكان موضوعه مناقشة مشكلة التهوُّد، والتي كانت تنادي بضرورة أن يتحول الأممي إلى اليهوديّة ويُختتن حسب عادة موسى والناموس، كخطوة تمهيديّة وضرورية لنوال الخلاص والتمتع بالحياة المسيحيّة؛ وكان الرسول يعقوب -أسقف أورشليم وأعلى رتبة كنسيّة في ذلك الوقت- قائدًا لذلك المجمع وقد اتخذ قرارًا جريئًا أزال تلك العقبة أمام كل مَن يُريد الإيمان بالمسيح والمسيحيّة (أعمال 15: 1-35). يعتبر المؤتمر الكنسي المسيحي الأول سواء على مستوى المكان أو الزمان. (حضور المؤتمر الرسول بطرس ويوحنا وبولس وبرنابا، وغيرهم من تلاميذ المسيح ورسله الموجودين في أورشليم آنذاك).

[3] www.solas-cpc.org

[4] أريوس، وُلِدَ في القيروان في ليبيا عام 256م، ثم سيم قسيسًا وتميَّز بالزهدِ. ويُعدُّ مؤسس الأريوسية، التي تقول إن يسوع المسيح لم يكن أزليًّا مع الله الآب، بل خُلِقَ من الله الآب، توفي آريوس في القسطنطينيّة عام 336م. مع أن الأريوسية بحد ذاتها ليست شائعة اليوم، إلا أنّ بعض الحركات والجماعات الدينية المعاصرة قد تتشارك معتقدات مماثلة بشأن طبيعة يسوع.

وبين ألكسندروس الأول *Pope Alexanderos I*[5] وأتباعه من جهةٍ أخرى، حول **طبيعة شخص يسوع المسيح!**، أو بمعنى آخر: "**من هو يسوع المسيح؟ هل هو حقًّا إله، أم شيء أقل من ذلك؟**"، بالإضافة لعددٍ آخر من الموضوعات اللاهوتيّة، ومنها: تحديد موعد الاحتفال بعيد القيامة، صحة معمودية الهراطقة، وقد اختتم المجمع فعالياته في الخامس والعشرين من أغسطس 325م، وقد كان قانون الإيمان النيقاوي أحد أهم أبرز نتائج ومُخرجات هذا المجمع المسكوني.

ولقانون الإيمان النيقاوي ثلاث صور؛ الأولى وهي النسخة التي أقرها مجمع نيقيّة عام 325م، والثانيّة تلك التي نُقِّحت وأُقرَّت في مجمع القسطنطينيّة عام 381م، وفيها أُضيفت بعض العبارات في شأن أقنوم الروح القدس وعمله، أمَّا الثالثة وهي التي تعتمدها الكنيسة الغربيّة أُقرت في مجمع توليدو سنة 589م. وفيها أضيفت لفظة «والابن» إلى العبارة الدالة على انبثاق الروح من الآب.[6] ويُعدُّ قانون الإيمان النيقاوي، هو القانون الوحيد الذي اتفق عليه القادة المسيحيون وأقرَّته الكنائس الكاثوليكيّة الرومانيّة والأرثوذكسيّة الشرقيّة والأنجليكانيّة ومعظم الكنائس البروتستانتية. لقد أسس قانون الإيمان تأكيدات حيوية للحقيقة: أن يسوع هو "إله حق من إله حق"، "مولود غير مخلوق"، و"من جوهر واحد مع الآب".[7]

ينص قانون الإيمان النيقاوي، ويُسجِّل عبارة تقول: "**من أجلنا ومن أجل خلاصنا**"، لتُعبِّر عن الهدف من تجسد المسيح وصلبه، وحين يقول إنَّ يسوع المسيح "نزل من السماء... وصار إنسانًا من أجلنا ومن أجل خلاصنا". هذا يعني أنّ تجسد يسوع، وصيرورته إنسانًا، لم يكن مجرد حدثٍ، بل عمل مقصود لخير البشريّة. وهكذا تُجسِّد عبارة: "**الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء**" جوهر الفهم اللاهوتي لمجمع نيقية فيما يتعلق بتجسد يسوع المسيح وأهميته لخلاص البشرية.[8] كما تؤكِّد تلك العبارة على أن يسوع ليس مجرد إنسان، بل هو أيضًا إلهٌ في صورة إنسان، جاء إلى الأرض ليخلص البشرية من

---

[5] وُلد ألكسندروس الأول بالإسكندرية، لا يُعرف الكثير عن سنواته الأولى. لكنَّه خدم كاهنًا وسيم قسًّا، ثم بابا للإسكندرية وبطريركًا للكرازة المرقسيّة، وهو البابا رقم "19" في تاريخ باباوات كنيسة الإسكندرية، وقد واجه الإسكندر نفسه ثلاثة تحديات رئيسية خلال فترة رئاسته، الأولى بقيادة إريسنتيوس، والتي طعنت في توقيت عيد الفصح، والثانيّة قضية ميليتيوس، والثالثة بدعة أريوس والتي كانت سببًا رئيسيًّا في الدعوة لانعقاد مجمع نيقيّة، وقد توفي ألكسندروس في الإسكندرية في تاريخ 17 أبريل 326م.

[6] قانون الإيمان النيقاوي: موقع الإنجيليون المشيخيون. https://ep-church.org/confession-of-the-nicene-faith

[7] Angela Mackenzie, ***Celebrating 1,700 Years of the Nicene Creed***. https://www.solas-cpc.org/celebrating-1700-years-of-the-nicene-creed/

[8] www.solas-cpc.org

الخطيئة والموت. وقد أكَّد المجمع على أنّ المسيح هو الابن الوحيد لله، المتجسد من أجل خلاص الإنسان، مشددًا على أهمية عمله الفدائي في تحقيق الخلاص للبشر. وبعباراتٍ أخرى تُلقي هذه العبارة "**من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء**"، الضوء على النقاط الرئيسية التالية حول دور يسوع:

النزول من السماء: يسوع ابن الله، "نزل من السماء" إلى الأرض . "**الإخلاء**"

التجسد: "تجسد" (اتخذ شكلًا بشريًّا) من الروح القدس ومن العذراء مريم.

الخلاص: نزوله وتجسده كانا من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا.

الصلب والموت والقيامة: تؤكد هذه العبارة أيضًا على معاناة يسوع وموته وقيامته.

ومع أنَّ قانون الإيمان النيقاوي ليس نصًّا كتابيًّا ورد في الكتاب المقدس، إلاَّ أنَّه يُعدُّ قانونًا كتابيًّا بمعنى أنَّه يتوافق مع رسالة الإنجيل ويلخص الحقائق الكتابيّة، على الرغم عن عدم وجوده صراحة في الكتاب المقدس.[9] كما أنَّ الجماعات التي تُسمي نفسها مسيحيّة ولكنَّها لا تقبل قانون الإيمان النيقاوي هي جماعاتٌ عادةً ما تتبنى معتقداتٍ غير تقليديةٍ حول طبيعة الله الثالوثيّة.[10]

الأساس الكتابي

عبارة "**من أجلنا ومن أجل خلاصنا**"، تلخص عدة موضوعات كتابيّة رئيسيّة. فنقرأ في إنجيل لوقا بوضوح الغرض الفدائي لمجيء وتجسد المسيح، حيث يكتب البشير "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا 19: 10)، وهو ما يؤكده البشير يُوحنا قائلًا: "لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ." (يوحنا 3: 17)، أي أنَّ الله أرسل ابنه لكي يخلُص العالم من خلاله؛ ذات الرسالة والإيمان يكررهما الرسول بولس في كتاباته، مؤكدًا مرارًا وتكرارًا، تأكيدً واضحًا وحاسمًا على بذل المسيح لذاته "من أجلنا". يُسجِّل هذا الإيمان في رسالة رومية قائلًا: "الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رومية 4: 25)، وكذلك في غلاطية قائلًا: "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ

[9] Emily Hall. ***What Exactly Is the Nicene Creed, and Is it Biblical?*** https://www.biblestudytools.com/bible-study/topical-studies/where-did-the-nicene-creed-come-from.html

[10] بعض المجموعات الحاليّة، التي غالبًا ما تدعي أنَّها مسيحيّة، ومع ذلك تتمسك بتعاليم أريوس ولا تؤمن بالحقائق الكتابيّة ولا تقر بمخرجات مجمع نيقية، هي: "المورمون أو ما يُطلق عليها، كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، شهود يهوه، والوحدويون، والعالميون".

الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا" (غلاطيّة 1: 4)، وبالمثل يكتب في رسالته إلى أهل كنيسة أفسس: "كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً." (أفسس 5: 2)، بينما يصِفُ في رسالته إلى تلميذه تيطس شخصًا بذل نفسه لأجلنا ليفدينا من كل إثم وخطية، فيقول: "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ" (تيطس 2: 14).

وربما تتجلى الصلة بين التجسد والخلاص أكثر وضوحًا في الرسالة إلى العبرانيين حين نقرأ "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين 2: 14–15). هنا، يرتبط تجسّد المسيح "باللحم والدم" ارتباطًا مباشرًا بهدفه الفدائي؛ إذ أصبح إنسانًا تحديدًا لإنقاذ وخلاص البشر. تستكشف رسالة العبرانيين أهميّة تجسد المسيح، مستخدمةً لغةً أصبحت أساسًا للنقاشات اللاهوتيّة اللاحقة، مثال: "مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ" (عبرانيين 2: 17).

لقد تطلّب الخلاص أن يتجسّد الكلمة في إنسانيتنا ويشاركنا فيها بشموليةٍ لا تَبقى فيها أيّ بُعدٍ من أبعاد التجربة الإنسانيّة دون أن تُلامسها الرحمة الإلهيّة. وكطبيبٍ يُضطرّ إلى دخول الحجر الصحيّ لشفاء المرضى، انغمس المسيح في أعماق حالتنا.

"**ما لا يُتخذ لا يُسترد**" وهكذا تبلورت هذه الرؤية الكتابيّة لاحقًا في مبدأ أصبح القاعدة الأساسيّة في الجدل حول المسيح بعد مجمع نيقية. وقد عبّر عنها غريغوريوس النزينزي *Gregory of Nazianzus*[11] بوضوح في رسالته ١٠١ إلى كليدونيوس، قائلًا: "**ما لم يتّخذه لم يشفِه، بل ما اتحد بألوهيته يُخلّص أيضًا**". فإذا لم يتّخذ المسيح جانبًا من الطبيعة البشريّة (العقل، الإرادة، العواطف، الجسد)، فإن هذا الجانب ظلّ دون خلاص.[12]

[11] غريغوريوس النزينزي، وُلِدَ في نازينزوس عام 329، في مقاطعة كبادوكيّة الرومانية، رُسِم قسيسًا بناءً على رغبة والده، وكان عالم لاهوت مسيحيًّا رومانيًّا مبكرًا وأسقفًا خدم كرئيس أساقفة القسطنطينية من عام 380 إلى 381. ساعد في الدفاع عن الإيمان المسيحي القويم في مواجهة الأريوسيّة، وهو أحد ثلاث شخصيَّات في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية نال لقب "اللاهوتي"، رقد في مسقط رأسه في 25 يناير 390م.

[12] Bryan Hollon, ***We Believe: For Us and For Our Salvation, He Came Down from Heaven.*** https://anglicancompass.com

وهكذا فإنَّ عبارة "**من أجلنا ومن أجل خلاصنا**"، تُجسّد غاية التجسد. فلم يتخذ المسيح الطبيعة البشريّة بدافع الفضول الإلهي أو التجربة الكونية. بل كان لتجسده هدف خلاصي مُحدّد، يتجلّى في كل جانب من جوانب اللاهوت المسيحي.

"**من أجلنا ومن أجل خلاصنا**" تُخبرنا أن اتخاذ الله جسدًا بشريًّا يُظهر محبة ملموسة، حتى إن تلك المحبة اتخذت عظامًا ودمًا، جوعًا وعطشًا، ضحكًا ودموعًا. في يسوع المسيح، صار كلمة الله الأزلي إنسانًا من أجلنا ومن أجل خلاصنا، ودخل قصتنا ليُغيّرها من الداخل. يُبرّر سرّ التجسد رجاءنا الأصيل في أن لا شيء في التجربة الإنسانيّة يتجاوز نطاق الفداء الإلهي، لأنّ كل ما هو إنساني حقًّا قد اتخذه الله نفسه في المسيح.

الرائع أنّ عبارة "**من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا**" تؤكد أنَّ جميع البشر خطاة، ويحتاجون لمخلصٍ من خارج تلك البشرية الساقطة، لكنَّه يجب لذاك المخلص أن يكون بشرًا، وهكذا تؤكِّد تلك العبارة على أن يسوع المسيح قرر أن يتخذ صورة بشريّة ليحرر ويُخلِّص البشر، وهي تعني أيضًا أنَّ المسيح لم يأتِ ليخلص المسيحيين فحسب، بل جميع البشر. وتشرح هذه العبارة لماذا أرسل الله ابنه ليخلص الإنسان من الخطيئة ويقدسه؟ ويمكننا دراسة هذه العبارة كملخصٍ لقانون الإيمان، فهي تُعلّم المسيحيين أهميّة إيمانهم ومعتقدهم من أجل الخلاص والحياة الأبدية.

لقد أُدرجت عبارة "**من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا**" في قانون الإيمان كوسيلة لتوضيح الفكرة الرئيسية للقارئ. لذا، فهي بمثابة افتتاحية لقانون الإيمان. تُعرّف هذه العبارة القارئ بالموضوع من خلال تعريفه بمحبة الله ونعمته. لهذا السبب أرسل الله ابنه ليموت من أجل الإنسان. يلاحظ القارئ أن المسيح جاء ليخلص الإنسان ويطلب ما قد هلك.

من الجدير بالذكر أن هذه العبارة تُكمل العقيدة، إذ تُفسر سبب إرسال الله ابنه. وهذا يعني أن تمجيده وقيامته وحكمه الأبدي جزءٌ أساسي من القصة الحالية. يدرك كل مؤمن أن يسوع كان موجودًا قبل مجيئه إلى الأرض، وهو الآن في السماء ينتظر يوم القيامة. سيعود ليدين البشر على جميع خطاياهم. تدعم هذه العبارة جميع فصول الإيمان الأخرى، مما يُتيح سرد رسالة كاملة لجميع المسيحيين.[13]

[13] -,-. ***Christians Beliefs: "For Us Men and For Our Salvation" Essay***. https://ivypanda.com/essays/christians-beliefs-for-us-men-and-for-our-salvation

في التجسد، تُلبّي المحبة الإلهية حاجة الإنسان في أعمق مستوياتها. ويدخل الكلمة الأزلي في ملء الحالة الإنسانية. فهو لا يُقدّم تعاطفًا إلهيًّا مع معاناة الإنسان فحسب، بل يختبرها بنفسه. ولا يغفر ضعف الإنسان عن بُعد فحسب، بل يتحمّله في ذاته، مُحوّلًا إياه من الداخل.

وهكذا يُغيّر التجسد تجربتنا في المعاناة والحدود والفناء. فعندما نواجه الألم، نعلم أنّ المسيح قد دمج هذا الألم في تجربته الشخصية. وعندما نصارع الضعف البشري، نتذكر أنّ المسيح قد تحمّل هذا الضعف وفداه. وأخيرًا، عندما نواجه الموت، نثق بأنَّ المسيح قد ضمّ حتى هذا العدو الأخير إلى نطاق عمله الفدائي.

تَأَنُّسُ المسيح لا يعني أنَّه لم يعُد إلهًا بتَأَنُّسِهِ، فهو لم يتخلَّ عن طبيعته الإلهيّة، بل يعني أنه تَأَنَّسَ باكتسابه الطبيعة البشرية بالإضافة إلى طبيعته الإلهية. جمعٌ لا نقصان. في المسيح تمَّ إدراك أن الألوهية والإنسانيّة لا يتعارضان. لم يكن على ابن الله الاختيار بين كونه إلهًا وإنسانًا. كان بإمكانه أن يكون كليهما في آنٍ واحد. الكلمة الأزلي صار إنسانًا. لقد لخص جون كالفن الأمر بشكل لا يُنسى: "لقد لبس المسيح مشاعرنا إلى جانب جسدنا"[14]. صار إنسانًا: أي أنّه الإله الأزلي، اتخذ جسدًا وصار إنسانًا كاملًا، بحيث اتحدت طبيعتان كاملتان، غير مختلطتين، غير متغيرتين، غير منقسمتين، غير منفصلتين معًا في شخص واحد.

"**من أجلنا ومن أجل خلاصنا**"، كما تنصّ عليه قوانين الإيمان الكنسيّة. لم يكن التجسد مظهرًا، بل طريقًا للخلاص. فهو ليس سيدنا بكونه إلهًا فحسب، بل أصبح الآن أيضًا، بفضل كونه إنسانًا، ذبيحتنا وبديلنا. هو ليس خالقنا فحسب، بل فادينا أيضًا. هو الحمل المذبوح الذي مات من أجل خطايانا، لا من أجل خطاياه.

يا له من أمرٍ مدهش أن ابن الله الإلهي لم يتبنَّ جزءًا من إنسانيتنا فحسب، بل اتخذها كلها، ثم حملها إلى الصليب من أجلنا. لقد اتخذ يسوع جسدًا بشريًّا ليخلص أجسادنا، وعقلًا بشريًّا ليخلص عقولنا. لولا أنه صار إنسانًا في عواطفه، لما استطاع أن يخلص عواطفنا. ولولا أنه اتخذ إرادة بشريّة، لما استطاع أن يخلص إرادتنا. وكما سبق الإشارة إلى قول غريغوريوس النزينزي: "**ما لم يتّخذه لم يشفِه**". لقد اتخذ المسيح إنسانيتنا كاملة، ليخلصها ويستردها كاملة.

[14] David Mathis, ***He Came Down from Heaven***. https://www.citieschurch.com/sermons/he-came-down-from-heaven

لقد صار يسوع المسيح إنسانًا كاملًا ليخلصنا بالكامل. وهكذا، فإنّ التجسد شهادة أبدية على أن الابن الإلهي الكامل وأبيه هما سندنا الدائم. والتجسد دليل دائم على أن يسوع، في انسجام تام مع أبيه، سندنا الدائم. وقد أظهر محبته لنا بأنه، ونحن بعد خطاة، اتخذ طبيعتنا في شخصه الواحد ومات من أجلنا.[15]

إنّ مجمع نيقيّة وما صدر عنه من قانون إيمان، لتذكير قوي بأنّ على كل جيلٍ أن يسعى من أجل الإيمان الحقيقي. لقد وقفت الكنيسة الأولى بثباتٍ في الدفاع عن ألوهيّة المسيح ووحدانيّة الثالوث، واضعةً أساسًا لا يزال يُشكل العقيدة المسيحيّة حتى اليوم. في عالمٍ لا يزال فيه التشويش اللاهوتي قائمًا، ولا تزال فيه جماعاتٌ تُشكك في طبيعة المسيح، أصبح من المهم أكثر من أي وقت مضى معرفة ما نؤمن به ولماذا؟[16]

هل من جدوى أو فائدة لاستخدام قانون الإيمان النيقاوي اليوم؟

إنَّ قانون الإيمان النيقاوي ليس مجرد أثر من الماضي. بل سيبقى نبض الكنيسة، وعمودها الفقري، واعترافًا بهُويّة يسوع. في عصرٍ يميل إلى اختزال يسوع إلى مجرد معلمٍ حكيمٍ أو صوفيٍّ مستنير، تبقى العقيدة ثابتة: **يسوع المسيح هو الله الحق، المولود غير المخلوق، من جوهر واحد مع الآب.**

كما أنّ تلاوة قانون الإيمان النيقاوي في كنائسنا اليوم تتسق وما سجَّله كاتب العبرانيين، "لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخًا، لأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ". (عبرانيين 10: 23)، فتلاوة قانون الإيمان النيقاوي معًا ككنيسة، يُشجع الكنيسة على تذكّر أساس إيماننا الراسخ في المسيح، وفيمن هو شخص المسيح، وكيف عبَّرت الكنيسة عن ذلك الإيمان في كلماتٍ واضحة، مختصرة متفقٌ عليها، كما تؤكد تلاوة قانون الإيمان في الكنيسة معًا وجماعة واحدة على واحديّة ووحدانيّة وعالميّة الإيمان المسيحي[17].

وإذا كان التحدي لا يزال كامنًا في تحديد معتقداتنا وإيماننا بشأن يسوع المسيح هو السؤال الأهم الذي يواجه الناس في حياتهم. ففي النهاية، "الابن هو بهاء مجد الله ورسم جوهره" (عبرانيين 1: 3)، ولذلك

[15] David Mathis, He Came Down from Heaven. https://www.citieschurch.com/sermons/he-came-down-from-heaven

[16] Angela Mackenzie, ***Celebrating 1,700 Years of the Nicene Creed***. https://www.solas-cpc.org/celebrating-1700-years-of-the-nicene-creed/

[17] Philip Schaff, ***The Creeds of Christendom***, ***With a History and Critical Notes***, Volume 1, Harper 1919.

عندما ننظر إلى يسوع، ننظر إلى الله. فمن دون الثقة بأن يسوع هو الله، متحدًا في الجوهر مع الآب، لا يمكننا الجزم بقدرة يسوع على التحدث باسم الله، وغفران خطايانا باسم الله، وإعلان تبريرنا باسم الله، أو القيام بأي شيء يجعلنا أبناءً للآب"[18].

إنَّ احتفالنا بذكرى مجمع نيقية ليست فقط مجرد مناسبة للتذكر؛ بل هي مناسبة لتجديد إيماننا، والابتهاج بالإيمان الذي أُوكل إلينا، وتقديم الشكر لمن وقفوا –غالبًا وحيدين وفي خطر جسيم– من أجل الحقيقة.

ملاحق:

لقد كانت هناك ثلاث صيغ من قانون الإيمان النيقاوي، كل منها جاء بعد مجمع من المجامع الكنسيّة: الصيغة الأولى جاءت بعد مجمع نيقية في عام 325. ثم الثانية أُقِرَّت بعد مجمع القسطنطينية في عام 381م، والثالثة والأخيرة جاءت بعد مجمع توليدو *Toledo* في عام 489م. نستعرضها جميعًا في الملاحق الثلاثة الآتية:

الملحق الأول:

الصورة الأولى لقانون الإيمان النيقاوي، وتقول: "نؤمن بإلهٍ واحد آب ضابط الكل، خالق كل الأشياء: ما يُرى ما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن اللَّه، المولود من الآب، المولود الوحيد أي من جوهر الآب. إله من إله، نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر (في الأصل: ذو جوهر واحد مع الآب). الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض. **الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا**، نزل وتجسّد وتأنّس وتألم، وقام أيضًا في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء. وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات. وبالروح القدس.

[18] ZondervanAchademic.com.

"وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه (ابن الله)، وإنه لم يكن له وجود قبل أن وُلد، وإنه خُلق من العدم، أو إنه من مادة أخرى أو جوهر آخر، أو إن ابن الله مخلوق، أو إنه قابل للتغيير، أو متغير، فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية".

الملحق الثاني:

الصورة الثانية، وتُسمى بقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني. وهي مؤلفة من صورة القانون النيقاوي السابق ذكرها، مع تغيير جزئي في الجملة الأولى، وإضافة بعض العبارات في شأن أقنوم الروح القدس وعمله، وترك اللعنة الختامية. وقد شاعت نسبة هذه الصورة الجديدة لقانون الإيمان إلى مجمع القسطنطينية الذي التأم بأمر الإمبراطور ثيودوسيوس سنة 381م ضد الذين أنكروا لاهوت الروح القدس. وقد أُدخل التغيير على قانون الإيمان النيقاوي الأصلي نحو ذلك التاريخ. وما أُضيف من العبارات أُخذ من مؤلفات كنسيّة، ولكننا لا نملك برهانًا على أن ما وقع فيه من تغيير أحدثه المجمع القسطنطيني، ولكننا نعلم أن مجمع خلقيدونية صدَّقه سنة 451م. وتقبل الكنيسة اليونانية الأرثوذكسيّة الآن القانون النيقاوي على هذه الصورة: (الاختلافات موضحة بالخط الأحمر المائل):

«نؤمن بإلهٍ واحد، آب ضابط الكل، خالق *السماء والأرض*. كل ما يُرى وما لا يُرى. وبرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله *الوحيد*، المولود من الآب *قبل كل الدهور*. نورٌ من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساوٍ للآب في الجوهر (في الأصل: ذو جوهر واحد مع الآب). الذي به كان كل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل *من السماء*، وتجسد *من الروح القدس* ومن مريم *العذراء* (أي تجسد بواسطة الروح القدس من مريم العذراء). وتأنّس. *وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي* وتألم *وقُبر*. وقام في اليوم الثالث *على ما في الكتب*، وصعد إلى السماء *وجلس عن يمين الآب*. وأيضًا يأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات، *الذي لا فناء لملكه*. وبالروح القدس *الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء. وبكنيسة واحدة. جامعة. مقدسة. رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر العتيد. آمين*».

الملحق الثالث:

الصورة الثالثة (أي اللاتينية) وهي المقبولة الآن في الكنائس الغربيّة والإنجيلية وهي تختلف عن الثانية في ما يأتي فقط: (1) في إعادة العبارة «إله من إله» التي كانت في القانون النيقاوي الأصلي وحُذفت من الصورة النيقاوية القسطنطينية اليونانية. (2) لفظة «والابن» أُضيفت إلى العبارة الدالة على انبثاق الروح من الآب، بواسطة مجمع توليدو في أسبانيا سنة 589م وبالتدريج قبلتها كل الكنيسة الغربية ثم كل الكنيسة الإنجيلية من دون إثبات من مجمع مسكوني، غير أنّ الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية لم تقبلها. وتلك الصورة تقول:

"أومن بإلهٍ واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر (ذو جوهر واحد مع الآب). الذي به كان كل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وتأنس وأيضًا صُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي. وتألم وقُبر وقام أيضًا في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء. وهو جالس عن يمين الآب، وسيأتي أيضًا بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات. الذي ليس لملكه انقضاء. وأومن بالروح القدس الرب والمحيي، المنبثق من الآب والابن. (كلمة «والابن» أضافها لقانون الإيمان القسطنطيني مجمع الكنيسة الغربية في توليدو سنة 589م). المسجود له والممجد مع الآب والابن معًا، الناطق بالأنبياء. وأومن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وأنتظر قيامة الموتى، وحياة الدهر العتيد. آمين».

الملحق الرابع

خمسة أسباب تجعل المنظور الأريوسي خاطئًا من الناحية اللاهوتيّة والكتابيّة:

1) **ألوهية المسيح:** يُقدّم العهد الجديد أدلةً دامغةً على الطبيعة الإلهية ليسوع. على سبيل المثال، تنصّ شهادة إنجيل يوحنا ١: ١-١٤ على أن "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ.. وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" مما يُناقض مباشرةً تأكيد الأريوسيين بأنّ يسوع مخلوق فحسب.

2) **عقيدة الثالوث:** تُعدّ عقيدة الثالوث، التي تُعلّم أن الآب والابن والروح القدس واحد في الجوهر ومتميزون في الأقانيم، جوهرًا أساسيًّا في العقيدة المسيحيّة. يُشدّد قانون الإيمان النيقاوي على مساواة الابن مع الآب ومشاركتهما في الأزلية، بينما تُقوّض الآريوسية هذه الوحدة بادّعاء أن يسوع من جوهر مختلف.

3) **عمل المسيح الفدائي:** تعتمد فاعلية ذبيحة المسيح الكفارية على طبيعته الإلهية. بصفته إلهًا متجسّدًا، يملك يسوع السلطة على مصالحة البشرية مع الله. لو كان مجرد كائن مخلوق، لكانت ذبيحته تفتقر إلى القيمة اللانهائية اللازمة لإرضاء العدالة الإلهية والقداسة.

4) **إجماع الكنيسة الأولى:** يعكس رفض الآريوسية إجماع الكنيسة الأولى، كما هو منصوص عليه في قانون الإيمان النيقاوي. وقد أكَّد مجمع نيقية على ألوهية المسيح كأساس للعقيدة المسيحيّة، مسلطًا الضوء على الأهمية اللاهوتية لهذا الفهم للإيمان المسيحي القويم.

5) **طبيعة العبادة:** العبادة لله وحده، ويشير العهد الجديد بوضوح إلى أن يسوع قَبِل أن يُعبَد (مثلًا، متى ٢٨: ١٧، رؤيا ٥: ١٢–١٤). فلو كان يسوع مخلوقًا، لكانت عبادته مخالفة للوصية الأولى، التي تُشدّد على عبادة الله وحده.